رحلة الى ديار الشام

في القرن الثامن عشر (الثاني عشر الهجري)

(الحلة الذهبية في الرحلة الخليلية)

لمصطفى البكري الصديقي

للأستاذ أحمد سامح الخالدي

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

وفي أواخر شوال سنة ١١٢٩ شرع الشيخ في عمارة الخلوة التحتانية البيرمية ، وساعد في عمارتها جناب عثمان باشا المهتدي ، وصار الإخوان يجتمعون فيها للأوراد . وزار مقام النبي موسى بصحبة صديقه الشيخ محمد الخليلي ، وجعل مقره في خلوة الشيخ يونس شيخ الحرم . وقبل العيد الكبير سار الوزير [رجب باشا] للاقاة الحج . وبعد قدومه من ملاقاة الحج جاء البشير باسناد منصب ولاية حلب لرجب باشا ، فسر الشيخ ، وقد توجه الوزير ، وكان صديقاً للشيخ إلى حلب في شهر ربيع الأول . وفي ربيع الثاني عزم الشيخ على زيارة الخليل ومنها إلى غزة وعسقلان ووادي النمل ويختم بزيارة علي بن عليم العمري . وتوجه ومعه الشيخ محمد الموقت ، والشيخ نور الدين الهواري والشيخ رضوان الرادي ، ونزل دارا قريبة من الحرم وورد عليه الشيخ عبد الرحمن الخطيب والشيخ محمد الطرعاني والأخ محمد القميري صاحب الميقات وغيرهم . وكان الشيخ ابراهيم الدكاني ينشد لهم من قصيدة للشيخ عبد الغني النابلسي مطلعها :

أنت قيد الوجود إن غبت غابا وإذا ما ظهرت كنت حجابا

وقصد زيارة عسقلان ، فتوجه إلى بيت (جبرين) ونزل لدى علقتها ، ومنها إلى (الفالوجة) وزار الشيخ أحمد الفالوجي ، وسار نحو المجدل ، وبات عند رجل معبَّد ، يقال له ابن معبد ، وأم عسقلان وزار شهداء المعركتين ووادي النمل ، وأتى قرية (الحورة) وتوجه إلى قرية (حمامة) وزار الشيخ أبي عرقوب ، وبايع عنده الشيخ يحيى المجدلاوي وابن أخيه ، وسار في الليل وبات عند العرب الوالح ، وسار إلى الرملة مدينة فلسطين ، وصلى العصر في جامعها الأبيض ، ونوى أن يتعداها إلى (لد) وزار مقام سيدنا علي رضي الله عنه ، كما زار الجبانة ، وبات عند الصديق المسعود الأعلمي الشيخ أبي المسعود المدود العلمي ، فأكرمه وفي الصباح قصد زيارة أخيه الشيخ حسين العلمي . ثم توجه إلى قرية (عابود) ومنها إلى قرية (سلفيت) وبات بها ، وتوجه في الضحوة إلى نابلس ونزل في التكية الدرويشية ، وبلغه وهو فيها أن الشيخ محمد الخليلي ومعه النقيب السيد محب الدين يقصدان الشام للاجتماع بمتوليها قريباً جناب رجب باشا ، للسلام . وكان قريبه الشيخ ابراهيم بن سعد الدين الجباوي قد وصل إلى نابلس بعد أن زار الخليل ، فسلم عليه ، ومن بني سعد الدين جدة جد الشيخ فهم أخواله ، وبقي الشيخ في نابلس في التكية . وكان معمر الدرويشية سيفي أغا البكداشي الطريقة ذهب للديار الرومية ، وأبقى مكانه شاباً اسمه أحمد . وممن زاره حسين بيك بن شرة ، ودعاه لداره مع الأخوين السلفيتي والموقت فقبل دعوته . ودار بينه وبين الدرويش أحمد البكداشي حديث وقد أخبره الشيخ عن الشيخ عبد الغني النابلسي أنه قال بمناسبة حمل البكداشية للبوق وضربهم به في الماء والشروق ، أنهم إنما يفعلون ذلك لتنفير الوحوش في المهمة الموحش المفروش ، لأنهم يسيحون في المهاد فيحتاجونه لدفع أنكاد ، فقال الشيخ نعم أنهم يضربونه لطرد وحوش الخواطر في مهمة القلب الموحش المفروش بغير العواطر . ثم إلى قرية (حجة) وأقام بها في خلوة الجامع المرتفعة مع إخوانه . ورأى عند الشيخ محمد شرح الجزائرية للشيخ قاسم الخاني ورأى بخطه قصيدة أبي مدين الغوث التي مطلعها :

ادرها لنا صرفاً ودع مزجها عنا فإنا أناس لا نرى المزج مذ كنا

وسار نحو قرية (عزون) وبعد الأكل وشرب القهوة عاد إلى (حجة) وكتب منها مكتوبين للاخوان ، وودع رفاقه ، وتوجه إلى (المجدل) قرية من قرى بني صعب ، وإذا بخيول تتجارى في سهول الغابة وانقشع الغبار عن سحابة ، فقيل له أن تلك الخيمة الزاهرة اللامعة نصبت للوزير جناب رجب باشا أمير الحاج صديقه ، فأراد الاجتماع به ، وما تغيرت الأقدام حتى ارتفع ذلك الخام ، فجد بالسير نحو (عيتل) وبات فيها عند الشيخ عبد الله المغربي ، ثم توجه نحو قرية (الهويج) وكان قد عمرها

الشيخ صالح بن الشيخ سهل ، فرحب به ، وأقام بها يومين ، وكرر شرب القهوتين ، السوداء والبيضاء ، ودعاه الشيخ قاسم أخو الشيخ صالح قرية (المنار) وزار جدهم رفيع المنار وبات فيها أربع ليال ، ولم يزل يسير إلى أن وصل قرية من قرايا مدينة صفد التي صفاها بالاندثار مصفد ، فأنزله الأخ محمد عند صديق يقول له أسعد ، فبات عنده ليلتين . ثم بات في قرية ملئت بالفرقة الدرزية عند رجل من أهل السنة وبكر منها إلى جنان (حاصبية) ومنها إلى كفركوك الدبس ، ومنها إلى كفرقوق الفستق ، ومنها إلى حارة القبيبات ، ونزل في دار المكارى للراحة ، لا للمبيات ، ووصل دار صهره الشيخ اسماعيل التي جددها .

وكان قد نزل الخلوة بتوصية منه إلى صهره ، جناب الصديق السيد محمد النافلاتي ، مفتي القدس ، والذي رافقه في طرابلس الشام . وجاءه للسلام وردعه في اليوم الرابع فانتقل الشيخ إلى الخلوة وأخذ بزيارة جدوده ، لدى الشيخ أرسلان ، والصالحية في دمشق ، وزار شيخه الشيخ عبد الغني النابلسي وبات في خلوة داخل الجامع المحيوي ، ومفتاحها بيد خادمه الشيخ ابراهيم الحتمي ، وبايع فيها شاب يدعى عثمان حرشي ، وعاد في الصباح من طريق عين الكرش إلى مرج الدحداح وزار جده الأعلى سيدي محمد عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ثم شيخه المرحوم الشيخ عبد اللطيف ، ثم توجه إلى جبينة تحت القلمة وزار سيدي عدي بن مسافر ، وقبره ملاصق لشجرة عظيمة مكتوب عليه عدي بن مسافر كتابة قديمة ، والمذكور ديوان ، وعاد مع رفاقه للخلوة .

واجتمع الشيخ بوالي الديار صديقه [رجب باشا] وكان معه خبر قضية العم محمد أغا البكرى [1] الصديقي ، وقد فاتحه في أمر زواج ابنته من الشيخ ، فوعده خيراً ، وأضاف أنه سيهبه مسكناً وسكناً ، ويدخله على ابنته فرضي منه الوزير ، بهذا الوعد المرقوبي ، وصار عينه به ، وسار الشيخ مع صهره إلى حرستى لحضور ختان ولديه السيد محمد أبي الفضل والسيد أحمد أبي الهدى . وأراد بعض الإخوان الرجوع إلى القدس وذلك سنة (١١٣٠ هـ) فحملهم كتباً للاخوان في القدس ، ومنهم الشيخ محمد الخليلي ، وكتاباً للاخوان في مدينة الخليل ومنهم الشيخ عبد الرحمن الخطيب التميمي ، وقصائد تصف شوق الشيخ إلى تلك الربوع .

ولما دخل شهر رمضان حرك الله همة عم الشيخ ، لزيارة البيت ، فقال الشيخ في نفسه أن ذهابهم في صحبة الوزير ، رجب باشا ، وكان أميراً للحج فيه فائدة ، أضف إلى هذا أنه يتقرب إلى قلب عمه ، ثم يقضي قرضه ، فرضي عمه بذلك ، وقد ذكر الشيخ ماوقع له في هذه الرحلة في رسالة سماها [الحلة الحقيقية لا المجازية في الرحلة الحجازية] والتي انتهت بوصول الشيخ إلى الشام في السابع والعشرين من شهر محرم سنة (١١٣١ هـ) .

ولما عاد الشيخ من الحج ، ألح الوزير على عمه انجاز ما وعد به بشأن زواج ابنته ، ولكن عمه لما بلغه خبر عزل رجب باشا عن الولاية عدل عما كان قد وعد به من أمور فيئس الشيخ وقطع أمله من ابنة عمه ، فعول على بيع بعض أملاكه وحصة في بستان الدولابي والحاجب ، وبستان النصراني ، وسود في هذه المدة الغية في التصوف .

وكان الشيخ قد فاتح السيد محمد السلفيتي ووعد الشيخ نور الدين الهواري أنه إذ لم يحصل مع عمه اتفاق بشأن الزواج ، فانه يرجع لأخذ ابنة بنت أخيه الروحي ، أي حفيدة السلفيتي فحسن له ذلك ، وعلى هذا عزم الشيخ على السفر إلى القدس للزواج وذلك في أواسط ذي القعدة سنة ١١٣١ هـ مع جمع من الرفاق ، فودعه صهره في المرجة في دمشق ، وسار إلى (المزة) وزار قبر دحية الكلبي ، ومنها توجه مع جمالة (جبنين) في الليل واجتمع بالشيخ محمد بن يسن الملقب طبيعة وبات في خان سمسم ومنها إلى قرية الجيب ، وهي مشهورة بالسمن لجودته وهو مشهور في قطرها بطيبته ، ومنها إلى الجسر ثم المنية ، ثم عيون التجار ثم جبنين ذات المياه والأشجار ، وكان تعارف بالشيخ في الطريق السيد مصطفى التميمي فدعاه إلى بيته فأجاب الدعوة . وسمع بعد المغرب صوت خيل وطارق ، وإذا هو السيد محمد السلفيتي وسار في الصباح إلى قرية (الزاوية) وأقام تحت شجرة البطمة ، وكان قد دخل هذه القرية أحد أجداد الشيخ رضوان واسمه قاسم فقال الشيخ موالياً .

---

(١) كان الشيخ مصطفى يأمل أن يتزوج من ابنة عمه محمد أغا البكرى ووسط الوزير فلم يفلح وأخيراً تزوج ابنة بنت السيد محمد السلفيتي ورزق منها بفتاً توفيت في القدس .

قاسم حبيبك على ما تملكو قاسم فرد علا فى المحاسن اسمه قاسم
بل ســلمو الكل إذ حبو الحبيب قاسم

لا زال فى حرز من يدعى أبا القاسم

ثم توجه للقدس وبات فى قرية (بيتونيا) ويقول الشيخ فى أمر زواجه « ويوم الخميس آخر ذى القعدة النفيس أقمنا فى الحرم نستقبل أهل الكرم ، وبعد مضى أيام الضيافة تعرضنا للنكاح بغير آفة ، وفى يوم الأحد جرى القلم به بحول الأحد ، أوائل ذى الحجة الحرام من العام ، العام الأنعام ، وليلة الخميس حصل الدخول الواجب التأنيس » وقد أرخ الزواج صديقه الشامى إذ قال « زفت الزهراء للقمر » سنة ١١٣١ هـ .

ولما حلت سنة ١١٣٢ هـ ، ومضى منها حصة ، تحركت همة الشيخ لزيارة القاهرة وذهبت بهذه النية إلى الخليل ، ولكن لم يتيسر له السفر إلى مصر فعاد إلى القدس . ولما عاد خطر له أن يخلف الأخ السيد محمد السلفيتى فباشر ذلك فى المولوية[1] وألبسه الكسوة الخلوتية ، وأذن له الإذن العام .

« وقريباً من ختام هذا العام ورد الوزير ذو الاحترام رجب باشا متوجهاً إلى الكنانة بإقدام ، وطلب بالحاح وإبرام أن نصحبه وجناب الشيخ محمد الخليلى الهمام فقسم النصيب قهراً وسرنا معه إليها جبراً وقسراً ، وقد ذكرنا ما جرى فيها إلى سنة ١١٣٣ هـ . فى الرحلة المسماة « النحلة البصرية فى الرحلة المصرية » .

وبعد العودة من مصر شرع فى رسالة المنهل العذب السايغ الواردة فى ذكر صلوات الطريق وأوراده ، وكان فى مصر بيض الصلات البرية والألفية ومنهج الصوفية ، وأخذ عنه فى مصر الطريق الشيخ محمد الحفناوى . وفى سنة ١١٣٣ شرح الشيخ صلوات سيدى عبد السلام بشيش المسمى بالروضات العريشة على الصلوات البشيشة » ، وبيض « السيوف » الحداد فى أعناق أهل الزندقة والإلحاد » وتمرض الشيخ سبعة أشهر وأكثر ، وفى أواخر مرضه جاءت والدته لما سمعت بمرضه البدنى ، وجاء الوزير المقدم أمير جردة ومعه الصهر الشيخ اسماعيل المدرس تحت القبة ، وودع الوزير فى الخليل وفى صحبته صهره الذى عاد للديار الشامية بعد أن اطمأن على صحة الشيخ .

وما زال كذلك إلى أن جاءه الخبر بأن عمه أصدر عليه حجة نفقة ووكل السيد محب الدين النقيب فى تحصيل ما حرر ، فاستخار الله فى السفر إلى جهة حلب لينال الظفر لأن الوزير (رجب باشا) صديقه منجم فيها بحال موفور فاستبشر وتوجه فى رحلة سماها (تفريق الهموم وتفريق الغموم فى الرحلة إلى بلاد الروم) . وقد أدرج الشيخ فى آخر هذه الرحلة ما ذكره فى الرحلة الرابعة والخامسة القدسية ، ثم المصرية ، ثم أوصلها بالرومية — انتهى.

أحمد سامح الخالدى

(١) زاوية فى القدس ، يرأسها الآن العارف بالله الشيخ عادل المولى الطرابلسى .

وزارة المعارف العمومية

إعلان مناقصة

تقدم العطاءات بعنوان حضرة صاحب العزة السكرتير العام بشارع الفلكى بمصر أو بالبريد الموصى عليه أو بوضعها باليد بمعرفة مقدميها فى داخل الصندوق المخصص لذلك فى إدارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم الإثنين الموافق ٢٠ / ٩ / ١٩٤٨ عن توريد أدوات التعليم والرسم اللازمة لمدارس الوزارة وفروعها فى العام الدراسى ١٩٤٨ / ١٩٤٩

ويمكن الحصول على شروط وقائمة المناقصة المذكورة من إدارة التوريدات بشارع صفية هانم زغلول بمصر نظير مبلغ ٣٠٠ مليم . ٣٤